ÇUKUROVA ÜNİVERSİTESİ
İLAHİYAT FAKÜLTESİ DERGİSİ
Journal of the Faculty of Divinity of Çukurova University

Cilt / Volume: 22 • Sayı / Issue: 1 • Haziran / June 2022 • 81-99
e-ISSN: 2564-6427 • DOI: 10.30627/cuilah.1021954

بلاغة الخطاب القرآني في استعمال الاسم الموصول مع لفظ الجلالة الله

İsm-i Mevsûl'ün "Allah" Lafza-i Celâliyle Birlikte Kullanımı Bağlamında Kur'ânî Hitabın Belagati

The Eloquence of The Qur'anic Discourse in The Use of The Connected Noun with The Name of His Majesty

Abdelkarim AMIN MOHAMED SOLIMAN
Öğr. Gör. Dr., Dokuz Eylül Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, İzmir, Türkiye
Dr. Lecturer, Dokuz Eylül University, Faculty of Divinity, İzmir, Turkey
abdelkreemameen@yahoo.com https://orcid.org/0000-0003-2999-1031

Makale Bilgisi/Article Information
Makale Türü/Article Type: Araştırma Makalesi/Research Article
Geliş Tarihi/ Received: 10.11.2021
Kabul Tarihi/Accepted: 10.06.2022
Yayın Tarihi/Published: 30.06.2022
İntihal Taraması/Plagiarism Detection: Bu makale, en az iki hakem tarafından incelendi ve intihal içermediği teyit edildi/This article has been reviewed by at least two referees and scanned via a plagiarism software.
Etik Beyan/Ethical Statement: Bu çalışmanın hazırlanma sürecinde bilimsel ve etik ilkelere uyulduğu ve yararlanılan tüm çalışmaların kaynakçada belirtildiği beyan olunur/It is declared that scientific and ethical principles have been followed while carrying out and writing this study and that all the sources used have been properly cited (Abdelkarim Amin Mohamed Soliman)
Telif/Copyright: Çukurova Üniversitesi İlahiyat Fakültesi/Published by Çukurova University Faculty of Divinity, 01380, Adana, Turkey. Tüm Hakları saklıdır / All rights reserved.

بلاغة الخطاب القرآني في استعمال الاسم الموصول مع لفظ الجلالة الله

İsm-i Mevsûl'ün "Allah" Lafza-i Celâliyle Birlikte Kullanımı Bağlamında Kur'ânî Hitabın Belagati

The eloquence of the Qur'anic discourse in the use of the connected noun with the name of His Majesty

الملخّص

تسعى هذه الدراسةُ للبحث التطبيقيّ عن بلاغة الخطاب القرآنيّ في إثبات وحدانيَّة الله من خلال دراسة خطاب القرآن عن اسم الجلالة (الله)، وقد اقتصرت الدِّراسةُ على خطاب الله عن نفسه الذي ارتبط بالاسم الموصول؛ وذلك لِمَا يحمله الاسم الموصول من دلالة بلاغيَّة تخصيصيَّة، وتفصيليَّة، وتأكيديَّة تناسب المتلقين لهذا الخطاب وتناسب السياق والموضوع، وقد اعتمدت الدِّراسةُ المناهجَ اللُّغويَّةَ في تحليلاتها. جاءت الدِّراسةُ في مقدِّمةٍ وسبعة مباحث: الأوَّل بلاغةُ الاسمِ الموصول، والثاني الاسمُ الموصول في محلِّ خبرٍ للفظ الجلالة، والثالثُ الاسمُ الموصولُ في محلِّ فاعلٍ للفظ الجلالة (الله) المحذوف، والرابعُ الاسمُ الموصولُ في محلِّ مفعولٍ به للفظ الجلالة (الله) المحذوف، والخامسُ الاسمُ الموصولُ في محلِّ بدلٍ من لفظ الجلالة، السادسُ الاسمُ الموصول مستثنى محل لفظ الجلالة (الله) المحذوف، والسابعُ الاسمَ الموصول مجرور محل لفظ الجلالة (الله) المحذوف.

الكلمات المفتاحية:: اللغة العربية، بلاغة، الاسم الموصول، القرآن، الخطاب

Öz

Bu çalışma, Kur'ân'ın "Allah" lafza-i celâliyle ilgili hitabını inceleyerek, Allah'ın vahdaniyetini ispatlama konusunda, Kur'ânî hitabın belagati üzerine uygulamalı araştırma yapmayı amaçlamaktadır. Çalışma, Allah'ın kendi zatına yönelik, İsm-i Mevsûl ile irtibatlı hitabı üzerine yoğunlaşmıştır. Zira İsm-i Mevsûl, bu hitabın alıcılarına uygun, aynı zamanda siyakla ve konuyla da uyumlu olan tahsis, tafsil ve tekide ait belâğî bir delalete sahiptir. Çalışmamız yedi bölümden oluşmaktadır: İsm-i Mevsûl'ün belagati, İsm-i Mevsûl'ün "Allah" lafza-i celâlinin haberi olarak gelmesi, İsm-i Mevsûl'ün mahzuf olan "Allah" lafza-i celâlinin yerine fail konumunda gelmesi, İsm-i Mevsûl'ün mahzuf olan "Allah" lafza-i celâlinin yerine mefulün bih olarak gelmesi, İsm-i Mevsûl'ün lafza-i celâlin yerine bedel olarak gelmesi, İsm-i Mevsûl'ün mahzuf olan "Allah" lafza-i celâlinin yerine müstesna olarak gelmesi, ve İsm-i Mevsûl'ün mahzuf olan "Allah" lafza-i celâlinin yerine mecrûr olarak gelmesi ele alınmıştır.

Anahtar Kelimeler: Arab Dili, Belagat, İsm-i Mevsûl, Kur'ân, Hitap.

Abstract

This study seeks an applied research on the eloquence of the Qur'anic discourse in God's discourse about himself, which is associated with the relative pronoun; This is due to the specific, detailed, and emphatic rhetorical significance of the connected noun that suits the recipients of this discourse and suits the context and topic. The study has adopted linguistic approaches in its analyses.

The study came in an introduction and seven chapters: the first is the rhetoric of the relative noun, the second is the relative noun in the predicate place of the word majesty, the third is the plural noun in the subject of the omitted word (God), and the fourth is the accusative noun for the omitted word majesty (Allah) and the omitted raw noun. The relative plural is in place of the word majesty, the sixth is the relative noun excluding the omitted place of the word majesty (Allah), and the seventh is the plural noun in place of the omitted word majesty (Allah).

Keywords: Arabic, Rhetoric, The Relative Noun, Rhetoric the Qur'an, Discourse.

المقدمة

الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام. وقد خاطبه بالكلام مُخَاطَبة وخطابًا[1]. وفي المعاجم الحديثة، يعني مصطلح الخطاب: نصٌّ يكتبه كاتبه إلى شخصٍ آخرَ، ويُسمَّى كذلك الرسالة. ويتضمن الخطابُ أخبارًا تعني الطرفين[2].

وفي معجم الكليَّات، يقول الكفوي (1094هـ): "الخطاب هو اللفظ المتواضَع عليه، المقصود به إفهام مَن هو متهيئ لفهمه"[3]. كما يعرف الكلام بقوله: "والكلام يُطْلَقُ على العبارة الدالة بالوضْع، وعلى مدلولها القائم بالنفْس[4]، فالخطاب إمَّا الكلام اللفظي، أو الكلام النفسي الموجَّه نحو الغير للإفهام"[5].

والخطاب يعني (المخاطبة)، وهو المعنى الذي ورد في قول (الله) - سبحانه وتعالى -: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ (ص: 20)[6]. وكذلك قول (الله) - عز وجل - : ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (ص:23)[7].

ومهما تعدَّدت التعريفات، فالخطاب يعني – من وجهة نظري – عملية تواصل، سواء بالكلام المنطوق أو المكتوب، أو الرمز[8]، تصدر من مخاطِب إلى مخاطَب بوسيلة مشتركة بينهما، بهدف إبلاغ رسالة ما.

الدراسات السابقة: ظهرت بعض الدراسات التي تعرَّضت للخطاب القرآني، ومنها

- خلود العموش، الخطاب القرآني. دراسة في العلاقة بين النص والسياق (مثال من سورة البقرة)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، جدارا للكتاب العالمي، عمَّان، الأردن، الطبعة الأولى، 1429هـ – 2008م.
- لافي محمد محمود زقوت، لغة الخطاب القرآني في بني إسرائيل دراسة دلالية أسلوبية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين، 2010م.
- فاضل مدب الأحبابي، نظرية التحول الخطابي في القرآن، بحث علمي، مجلة أهل البيت، العدد الثامن عشر.
- عصام العبد زهد، مفهوم الخطاب القرآني للمؤمنين في ضوء سورة النور، بحث علمي، الجامعة الإسلامية، غزة – فلسطين، بدون تاريخ.
- بن يحيى طاهر ناعوس، تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص دراسة تطبيقية في سورة البقرة، بحث على شبكة الإنترنت بدون تحديد دار النشر أو سنة النشر.

وقد غلب على هذه الدراسات تناول الخطاب القرآني في بعض سور القرآن أو أمثلة من هذه السور، كما تناول بعضها الخطاب الموجَّه لفئةٍ محدَّدة، ورغم اجتهاد هذه الدراسات في تحليل الخطاب القرآنيّ، فإنَّها لم تحاول توظيف البِنَى النحويَّة والبلاغيَّة في تحليل الخطاب القرآنيّ والتي هي المكوِّن الأصيل لهذا الخطاب، وتحاول هذه الدراسة أن تكون أكثر عمقاً من الناحية التحليليَّة وأكثر تحديداً في اختيار الموضوع والشواهد، فقد اقتصرت على

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة خطب.

[2] محمد التونجي، **المعجم المفصل في الأدب** (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1419هـ – 1999م)، ص402.

[3] الكفوي، **الكليات** (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1419هـ- 1998م)، ص419.

[4] وهو ما قاله العالم اللغوي فرديناند دي سوسير. انظر: فرديناند دي سوسير، **علم اللغة العام**، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطلبي (بيت الموصل، 1988م)، ص85.

[5] الكفوي، **الكليات**، ص419.

[6] الطبري(310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ضبط وتحقيق وتعليق: بشار عواد معروف وعصام فارس (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1415هـ– 1994م)، المجلد السادس، ص341.

[7] الطبري، **جامع البيان**، المجلد السادس، ص343، وكذلك البقاعي(885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي)، الجزء السادس عشر، ص355، 358.

[8] وهذا ما ورد في خطاب (الله) - عز وجل - لسيدنا زكريا عليه السلام. يقول – تعالى -: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (آل عمران:41).

الخطاب القرآنيّ عن ربِّ العزَّة، وتحديدًا عن لفظ الجلالة (الله) في استعماله للاسم الموصول (الذي)[9]، وتوظيفه في قضيَّة التوحيد وإثبات ألوهيَّة المولى – جلَّ جلاله – لِمَا يحمله الاسمُ الموصولُ من دلالةٍ على التخصيص والتفصيل والتوضيح يتطلَّبها سياقُ الآيات التي تخاطب الكافرين والمشكِّكين في وحدانيَّة الله وألوهيَّته، ولا تتناول الدراسةُ الاسم الموصول من الجانب النحويّ التقعيديّ الوظيفيّ؛ فهذا دور النحاة وما أكثر ما كُتِبَ فيه، ولكنَّها تتناوله من الجانب الدلاليّ الجماليّ وقيمته في الخطاب القرآنيّ الذي يتحدَّث عن قضيَّة التوحيد، وهي في كلِّ هذا حاولت الاستفادةَ من علوم التراث والحداثة، وخاصَّة من علمي النحو والبلاغة العربيين إضافة إلى علوم اللسانيَّات الحديثة، وقد جاءت الدراسة في سبعة مباحث كالتالي:

المبحث الأول: بلاغة الاسم الموصول

وتعرض الدراسةُ بإيجازٍ في هذا المبحث لمطلبين: الأول أغراضَ الاسم الموصول، والآخر دلالة جملةِ الصلة.

المطلب الأول: أغراض الاسم الموصول: للتعريف بالاسم الموصول أغراض، من أهمِّها ما يلي:

1. عدم عِلْم المخاطَب بالأحوال المختصة بالمخاطَب عنه سوى الصلة[10]، كقولنا: (الذي جلس معنا في المكتبة عالمٌ جليلٌ) فالمخاطَب لا يعلم عن أمر هذا العالم سوى أنَّه جلس معهم في المكتبة.
2. الإبهام، وذلك إذا أراد المخاطِبُ أن يُبهِم الشخص أو الشيءَ الذي يتحدَّث عنه عن المخاطَبِ أو السامع، فيذكره للمخاطَب أو السامع بجملة صلةٍ لا يعرفها ذلك المخاطَب ولا غيره من السامعين، فيقول مثلا: (إنَّ الذي جلس معنا في المكتبة قد غادر المدينةَ).
3. استهجان التصريح بالاسم فيُؤتَى بالاسم الموصول موصولاً بما صدر منه من فعلٍ أو قولٍ[11]، مثل قوله – تعالى -: {والذِي قَالَ لِوَالِدَيهِ أُفٍّ لَكُمَا} {الأحقاف: 17}، وقوله: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيتِهَا عَنْ نَفْسِهِ} {يوسف: 23}{فبَرَّاه اللهُ مِمَّا قَالُوا} {الأحزاب: 69} أي (آذر) فلم يصرّح بذلك.
4. التعظيم، بأن تذكُر الاسمَ بِصلَتِهِ المعظِّمة كقوله – تعال -: {تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ والسَّمَوَاتِ العُلَى} {طه: 4} وقوله: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ} {الزمر: 33}.
5. التَّحْقِير، كقولك: (هذا الذي شتم أباه)، و(هذا الذي أهنتَه)، ومثله مثل قوله - تعالى -: {كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِم} {البقرة: 113}.
6. التَّعريض، وذلك بترك الاسم وذكر الصلة كقول الله – تعالى -: {وَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي ولَا تَفْتِنِّي} {التوبة:49}، وقوله – تعالى - : {وفَعَلْتَ فِعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ} {الشعراء:19}.
7. التَّفخِيم كقوله تعالى: {فَغَشِيَهُم مِنَ اليَمِّ مَا غَشِيَهُم} {طه: 78}[12]، وقوله – تعالى -: {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} {النجم: 10}.
8. الاختصار مثل قوله – تعالى -: {لَا تَكُونُوا كَالذِين آذَوا مُوسَى} {الأحزاب: 69} أي قولهم إنَّه آذر، إذ لو عَدَّد أسماءَ القائلينَ بِذلِك لطال[13]، ونحو قوله – تعالى -: {قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُم مِنَ الأَسْرَى} {الأنفال: 70}، وقوله – تعالى -: {ويَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} {البقرة: 27}.
9. إرادة العموم نحو قول الله – تعالى -: {إِنَّ الذين قالوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ استَقَامُوا} {فصلت: 30}[14]، وقوله – تعالى -: {وعَلَى الذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ} {البقرة: 184}، وقوله – تعالى -: {والَّذِينَ يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُم فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُم} {النساء: 15}.

---

[9] هناك بعض الدراسات التي تناولت الاسم الموصول، ولكنها تناولتها من الجانب النحوي التقعيدي، مثل الدراسات الآتية:
- الاسم الموصول في القرآن الكريم دراسة نحوية، نادية الأمين محمد أحمد، ماجستير، جامعة الجزيرة.
- الأسماء الموصولة بين الجمل العربية واللغات السامية، محمد صالح توفيق، دار العلوم، جامعة القاهرة.
- أسماء الموصول في سنن أبي داود، الرشيد عوض محمد نور، دكتوراة، جامعة أم درمان الإسلامية، 2010م.
- الأسماء الموصولة العامة في القرآن دراسة نحوية دلالية، مطيع سليمان محمد القريناوي، الجامعة الإسلامية غزة، ماجستير، 2014م.

[10] أبو القاسم الزجاج، **الإيضاح في علل النحو**، تحقيق: مازن المبارك، (مطبعة المدني، مصر، 1378هـ - 1959م)، ج1، ص36.

[11] السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، تحقيق: أحمد شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ - 1988م)، ج3، ص575.

[12] أبو القاسم الزجاج، **الإيضاح في علل النحو**، ج1، ص36.

[13] السيوطي، **معترك الأقران**، ج3، ص575.

[14] السيوطي، **معترك الأقران**، ج3، ص575.

10. إرادة واحدٍ من الجنس غير مُعَيَّنٍ، وذلك كأن تقول: (أنتَ كالذي بَنَى بُنياناً حتَّى إذا أتَمَّه وأكمله هَدَمَهُ) فأنت لا تريد واحداً بعينه من أفراد الجنس، بل أنت تفترض واحداً هذا شأنه[15]، ومِمَّا جاء في القرآن قوله – تعالى -: {ولَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً} {النحل: 92}، وقوله تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ مَنْ اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ} {البقرة: 92}.

وقد أوضح ذلك عبد القاهر الجرجاني، فقال في دلائله عن الاسم الموصول (الذي): "يجيء كثيراً على أنَّك تُقَدِّر شيئاً في وَهْمِكَ ثمَّ تُعبِّر عنه بالذي" ثمَّ مثَّل له بقول الشاعر:

أَخُــوكَ الذي إنْ تَدْعُــهُ لِــمُلِمَّةٍ ... يُجِبْكَ وإنْ تَغْضَبْ إلى السَّيفِ يَغْضَبِ

وقول الشاعر:

أَخُــوكَ الذي إنْ رِبْتَــهُ قَــالَ: إنَّــما ... أَرَبْــتَ وإنْ عَاتَبْتَــهُ لَانَ جَانِبُــهُ

ثمَّ علَّق قائلاً: "فهذا ونحوه على أنَّك قَدَّرتَ إنساناً هذه صفته، وهذا شأنه، وأحلتَ السامع على مَنْ يَعِنُّ في الوَهْم، دون أن يكون قد عرف رجلاً بهذه الصفة. فأعلمته أنَّ المستحقَّ لاسم الأخوة هو ذلك الذي عرفه"[16].

المطلب الثاني: دلالة جملة الصلة: يُتبع الاسمُ الموصولُ بجملةٍ تُسمَّى (جملة الصلة)، وهذه الجملة قد يكون معلوماً معناها للمخاطَب، وذلك نحو (قدم الذي أكرم خالداً)، ولا تقول ذلك إلا إذا كان المخاطب يعلم أنَّ هناك شخصاً أكرم خالداً، ونحو قوله – تعالى -: {وإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيهِ وأَنْعَمْتَ عَلَيهِ أَمْسِكْ عَلَيكَ زَوْجَكَ} (الأحزاب:27)، فالصلة معلومةٌ للمخاطَب، والمخاطَب هو الرسول الكريم. قال ابن يعيش في ذلك: "وينبغي أن تكون الجملةُ التي تقع صلة معلومةً عند المخاطَب؛ لأنَّ الغرضَ بها تعريف المذكور بما يعلمه المخاطَبُ من حاله ليصحَّ الإخبارُ عنه بعد ذلك. فلذلك لا تقول: (جاءني الذي قام) إلا لمن عرف قيامه وجهل مجيئه؛ لأنَّ جاء خبرٌ وقام صلةٌ، وكذلك لا تقول: (أقبل الذي أبوه منطلق) إلا لمن عرف انطلاقه وجهل إقباله"[17].

وقد يُراد بالاسم الموصول الجنس، فلا تكون صلته معلومة، وذلك مثل قوله – تعالى -: {واللاتِي يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ} (النساء:15)، فليس المقصود بذلك نساء معلومات بل المقصود جنس النساء، وقوله – تعالى -: {والَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ} (البقرة:275)، فجملة الصلة – هنا – جزاءٌ ليس لأشخاصٍ محدَّدين، ولكن لكلِّ مَن يأكل الربا، وقس على ذلك.

وقد يُزادُ تعظيمُ الموصول فَتُبْهَم صِلَتُه فلا تكون معلومةً للمخاطَب، ولا تُفيد الجنس، مثل قوله – تعالى -: {فَغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ مَا غَشِيَهُمْ} (طه:78)، أي: الذي غشيهم أمرٌ عظيمٌ، وقوله – تعالى -: {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} (النجم:10)[18].

المبحث الثاني: الاسم الموصول خبر لاسم الجلالة

وقد تناول هذا المبحثُ مطلبين، الأوَّل: الاسم الموصول في محلِّ خبرٍ لاسم الجلالة (الله) الظاهر، والآخر: الاسم الموصول في محلِّ خبرٍ لضمير اسم الجلالة (هو)

المطلب الأول: الاسم الموصول (الذي) خبرٌ لاسمِ الجلالة الظاهر

[15] فاضل صالح السامرائي، **معاني النحو** (عمان: دار الفكر، ط1، 1420هـ - 2000م)، ج1، ص121.

[16] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1413هـ - 1992م)، ص184، 185.

[17] ابن يعيش، **شرح المفصَّل للزمخشري**، تحقيق: إميل بديع يعقوب (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ - 2001م)، ج3، ص154، والرضي، **شرح الرضي على الكافية**، تحقيق: يوسف حسن عمر (بنغازي: منشورات جامعة قاز يونس، ط2، 1996م)، ج2، ص39- 40، وخالد عبد الله الأزهري، **شرح التصريح على التوضيح، أو التوضيح بمضمون التصريح في النحو** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2006م)، ص169.

[18] السيوطي، **همع الهوامع شرح جمع الجوامع** (مصر: مطبعة السعادة، ط1، 1327هـ)، ج1، ص185، وانظر: الأزهري، **شرح التصريح**، ص169.

وقبل الدخول إلى طرح النماذج القرآنيّة وتحليلها، ينبغي أوّلًا أن نناقش بلاغة الاسم الموصول (الذي). وفي هذا الإطار، قد يُعرَب الاسمُ الموصول خبرًا أو صفةً للاسم المعرفة الذي يتقدَّمه[19]. فمتى يُعرَب خبرًا ومتى يُعرَب صفة؟ وما شأن جملة الصله وعلاقتها بالاسم المعرفة من ناحية، وعلاقتها كذلك بالمتلقي من ناحية أخرى؟[20].

وهنا يجيب عبد القاهر الجرجانيُّ عن خبريّة الاسم الموصول بقوله: "فإنْ قلتَ: قد يُؤْتَى بعد (الذي) بالجملة غير المعلومة للسامع، وذلك حين يكون (الذي) خبرًا، كقولك: هذا الذي كان عندك بالأمس، وهذا الذي قَدِم رسولًا من الحَضْرَة. أنت في هذا وشبهه تُعْلِمُ المخاطبَ أمرًا لم يسبق له به عِلْمٌ، وتُفِيده في المشار إليه شيئًا لم يكن عنده. ولو لم يكن كذلك، لم يكن (الذي) خبرًا، إذ كان لا يكون الشيءُ خبرًا حتَّى يُفَاد به. فالقول في ذلك: أنَّ الجملة في هذا النحو، وإن كان المخاطَب لا يعلمها لعينِ من أشرت إليه، فإنَّه لابدَّ مِن أن يكون قد علمها على الجُمْلَة وحُدِّث بها. فإنَّك على كلِّ حالٍ لا تقول: هذا الذي قَدِم رسولًا، لمن لا يعلم أنَّ رسولًا قَدِم، ولم يبلغه ذلك في جُمْلَةٍ ولا تَفْصِيلٍ. وكذا لا تقول: هذا الذي كان عندك أمس، لمن قد نسي أنَّه كان عنده إنسانٌ وذهب عن وَهْمِهِ، وإنَّما تقوله لمن ذاك على ذَكرٍ منه، إلا أنَّه رأى رجلًا يُقْبِل من بعيد، فلا يعلم أنَّه ذاك، ويظنُّه إنسانًا غيره"[21].

والذي يُفهم من كلام عبد القاهر أنَّ المتلقي لابدَّ وأن يكون له علم بحدوث جملة الصلة، بَيْد أنَّه على غير علم بصاحبها. ومن ثمَّ يأتي الاسم الموصول(الذي)؛ ليربط بين المعلوم عند المتلقي المتمثِّل في جملة الصلة، وغير المعلوم المتمثِّل في الاسم المعرفة.

وفي وصف الاسم الموصول (الذي) للاسم المعرفة الذي يسبقه يقول عبد القاهر الجرجاني: "والقول البيِّن في ذلك أن يقال: إنَّه إنَّما أُجتُلِب/ أي الاسم الموصول (الذي) حتَّى إذا كان قد عرف رجل بقصةٍ وأمرٍ جرى له، فتخصَّص بتلك القصَّة وبذلك الأمر عند السامع، ثم أُريد القصد إليه، ذُكِر الذي. تفسير ذلك أنَّك لا تصل الذي إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علمٌ بها، وأمرٌ قد عرفه له. هذا حكم الجملة بعد (الذي)، إذا أنت وصفت به شيئًا. فكان معنى قولهم: (أنه أُجتُلِب ليتوصَّل به إلى وصف المعارف بالجمل)، أنَّه جيء به ليُفْصَل بين أن يراد ذكر الشيء بجملة قد عرفها السامع له، وبين أن لا يكون الأمر كذلك"[22].

والذي يُفهم من كلام عبد القاهر أنَّ المتلقي على علمٍ بارتباط مضمون جملة الصلة بالاسم المعرفة الذي يرد قبل الاسم الموصول (الذي) إذا أُعرب الاسم الموصول صفة للمعرفة قبله.

وبعد أن يشرح عبد القاهر الفرق بين الخبر بالجملة مع (الذي) الذي للسامع علم به، والخبر بالجملة مع غير (الذي) الذي ليس للسامع علم به، يقول: "فلم يَخْلُ إذن من الذي بدأنا به في أمر الجملة مع (الذي)، من أنَّه ينبغي أن تكون جملة قد سبق من السامع علمٌ بها فاعرفه"[23].

وفي الضرب الأول (خبريّة الاسم الموصول) * يرد قول (الله) - عز وجل -: ﴿**اللَّهُ الَّذِي** خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ (إبراهيم: 32)[24].

---

[19] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر، ص199. والزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: دار الجيل، 1408 هـ – 1988م)، الجزء الأول، ص357.

[20] هذا الطرح، لا علاقة له بالنحو التقعيدي؛ لأن جملة الصلة تُعرب (جملة لا محل لها من الإعراب، سواء أكان (الذي) صفة أم خبرًا، والهدف هو التفتيش عن المعاني التحتية الكامنة خلف الإطار الشكلي للتركيب.

[21] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص200

[22] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص201.

[23] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص201.

* هذا من حيث الطرح النحوي التقعيدي؛ أي الجانب الإعرابي.

[24] وانظر كذلك: سورة (الروم:40، 48، 54)، وسورة (غافر:61، 64، 79)، وسورة (الشورى: 17)، وسورة (الجاثية: 12)، وسورة (الطلاق: 12). في هذه الآيات، أعرب محيي الدين الدرويش (1403هـ) الاسم الموصول (الذي) خبرًا لاسم الجلالة (الله). انظر على الترتيب: محي الدين الدرويش، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، (حمص: دار الإرشاد للشؤون الجامعية، الطبعة السابعة، 1420هـ – 1999م)، المجلد الرابع، ص155، والمجلد السادس، صفحات59، 65، 69 588، 594، 603. والمجلد السابع، صفحات28، 142، 555. وبهجت عبد الواحد صالح (1437هـ)، **الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل** (عمَّان: دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1414هـ – 1993م)، المجلد التاسع، ص118، 127، 134، والمجلد العاشر، ص287، 289، 302، 384. والمجلد الحادي عشر، ص13، والمجلد الثاني عشر، ص75، والغريب أن بهجت صالح قدَّم – في هذا الموضع – إعرابًا مغايرًا للاسم الموصول عما سبق. وانظر كذلك: محمود سليمان ياقوت، **إعراب القرآن الكريم** (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، بدون تاريخ)، المجلد الخامس، ص2413. والمجلد الثامن، ص3631، 3638، 3643، 4127، 4129، 4141، والمجلد التاسع، ص4211، 4310، والمجلد العاشر، ص4725. ومن التفاسير من أعرب (الذي) خبرًا. انظر: الزمخشري، **الكشاف**، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1415هـ – 1995م)، الجزء الثاني، ص535.

وبمراجعة هذه المواضع، يُدْرَك أنها قد أُتِيسثْ على جملة مفتاحية، أُلحِقت بها مضامين متغايرة، حسب السياق الذي ترد فيه، والقضية التي تتناولها.

وقد تمثَّلت الجملة المفتاحيَّة في مبتدأ/ اسم الجلالة (الله) وخبر/ (الذي) ﴿اللَّهُ الَّذِي﴾. ولا تُؤدِّي منطقة الخبر المشغولة بالموصول معنًى مستقِلًّا إلا بصلتها.

والنحو التقعيديُّ يُعرِب الاسمَ الموصولَ خبرًا للمعرفة التي تسبقه. بَيْد أنَّ جملة الصلة هي في الأساس – على المستوى التحتيّ الدلاليّ - هي الخبر للاسم المعرفة السابق على الاسم الموصول. وقد تمثَّل دورُ الموصول في التوصُّل إلى إخبار المتلقي عن الاسم المعرفة بالجملة الواقعه بعد الاسم الموصول وهي (صلة الموصول)[25].

ووفق هذا الطرح، يدرك أنَّ جملة الصلة قد وردت في منطقة الخبر لاسم الجلالة (الله)، الذي يسبق الاسم الموصول (الله الذي..إلخ).

وبالجمع بين النحو التقعيدي (خبريّة الموصول) والطرح البلاغيّ لدى عبد القاهر الجرجانيّ، فإنَّ المتلقي يعلم مضمون جملة الصلة، لكنَّه لا يعرف صاحبها، ومن ثمَّ جاء الاسم الموصول بصلته ليخبره عن الاسم المعرفة (الله).

إنَّ التأمُّلَ في مضمون الصلة يعطينا الآتي: (خلق السموات والأرض، إنزال الماء من السماء؛ لإخراج الثمرات رزقًا للإنسان، تسخير الفلك، تسخير الأنهار).

وإذا أردنا أن نستعرض أنواع المتلقين وفهمهم لطبيعة العلاقة بين جملة الصلة والاسم المعرفة (الله)، أدركنا أنَّ النبيَّ ﷺ - بوصفه المتلقي الأوَّل من البشر– يؤمن بارتباط جملة الصلة بالاسم المعرفة (الله)، وأنَّ كلَّ ما تحويه من مضامين، مهما تقلَّبت أعطافُها من موضعٍ لآخر، هي صفةٌ أو فعلٌ من أفعال (الله) جلَّ في علاه، ولا يمكن لأحدٍ غيره أن يختصَّ بها.

ووفق ذلك، يمكن النظر إلى الاسم الموصول – إعرابيًّا – على أنَّه صفةٌ لاسمِ الجلالة (الله)؛ لعلم النبيّ ﷺ بمضمون جملة الصلة، وعلمه بصاحبها، وأنَّها لا تنفكُّ عنه جلَّ في علاه.

وفي حال أن يكون التلقي من قِبَلِ المؤمنين، نكون أمام احتمالين: **الأوَّل:** أن يكون المتلقي قد علم بمضمون جملة الصلة من قَبْل، وارتباطها باسم الجلالة (الله) جلَّ في علاه، وأنَّها صفة له، لا لغيره، فيُعرَب الاسمُ الموصولُ في هذه الحال (الذي) صفةً. **الآخر:** أنَّ المتلقي قد علم بمضمون جملة الصلة، ولم يعلم أنَّ صاحبها هو (الله) -كأن يكون حديث العهد بالإسلام، أو أن يكون هذا الموضع أو ذاك هو الأوَّل من نوعه - فيُعرَب الاسمُ الموصولُ خبرًا لاسم الجلالة (الله)؛ لمعرفة المتلقي للمرَّة الأولى بارتباط جملة الصلة بالاسم المعرفة قبلها، وهو (الله) تعالى.

أما إذا كان المتلقي من ضرب الكافرين، ففي تلك الحالة نكون أمام احتمالين كذلك: **الأوَّل:** أن يكون المتلقي عارفًا بمضمون جملة الصلة، ويكون جاهلًا بصاحبها. وهنا يُعرَب الاسمُ الموصولُ (الذي) خبرًا. **الآخر:** أن يكون المتلقي الكافر عالما بمضمون جملة الصلة، وعالما كذلك بصاحبها وهو (الله) جلَّ في علاه، لكنَّه ينكر ارتباط هذا المضمون بـ (الله) - سبحانه وتعالى -، عُلُوًّا وتكبُّرًا وعِنادًا وجُحُودًا*، ومن ثمَّ يكون الاسم الموصول (الذي) صفة لاسم الجلالة (الله)، على المستوى التحتيّ العميق، المنبعث من رحم التأويل.

وإذا أخذنا الآية موضع الشاهد – وهي آية سورة إبراهيم - نموذجًا لما طرحناه، ألفينا أنَّ الاسم الموصول (الذي) يُعرَب صفة إذا كان التلقي من جانب النبيّ ﷺ، على أساس أنَّ سيدنا جبريل هو المخاطِب المبلِّغ عن رب العزَّة - سبحانه وتعالى -.

وأبـــي السعود (951ه)، **إرشاد العقل السليم إلى مـــــــزايا القرآن الكريم** (بيروت: دار إحيـــاء التراث العـــــربي، بدون تاريخ)، الجزء الخامس، ص47. وابن عاشور، **التحرير والتنوير** (تونس: الدار التونسية للنشر)، الجزء الثالث عشر، ص235.

[25] وأعتقد أن هـــــذا هـــــو السبب في أن جمـــــلة الصـــــلة (لا محـــــل لهـــــا مـــــن الإعراب)؛ لاحتـــــلال الاســـــم الموصـــــول مكانها الإعرابي.

* ويتأكد هذا مما ورد في القرآن الكريم من آيات كثيرة تدل على ذلك. انظر: سورة (الرعد: 16). وسورة (العنكبوت: 61، 63). وسورة (لقمان: 25)، وسورة (الزمر: 38)، وسورة (الزخرف: 9، 10، 87).

وبإعادة القراءة مرَّة أُخْرَى للآية الكريمة، يُدْرَك أنَّ المخاطَب – غير النبي ﷺ - هـــــم المشركون[26]، أو جنس البشر: مـــــــــؤمن وغيره[27]. علـــــــــى أساس أنَّ المخاطِب هو النبي ﷺ.

فإذا كان المخاطَب يتمثَّل في المشركين، كان الموصول (الذي) إمَّا أن يكون خبرًا أو صفة، حسب ما طرحنا في الصفحة السابقة. وإذا كان المخاطَب هم المؤمنون، فسيكون الأمر نفسه، حسب ما طرحنا في الصفحة السابقة كذلك.

والآن نناقش ابن عاشور فيما ذهب إليه في هذه الآية الكريمة في قوله: "وافتتح الكلام باسم الموجِد لأنَّ تعيينه هو الغرض الأهم. وأخبر عنه بالموصول لأنَّ الصلة معلومة الانتساب إليه والثبوت له؛ إذ لا يُنازِع المشركون في أنَّ الله هو صاحب الخلْق، ولا يدَّعون أنَّ الأصنام تخلق شيئًا، كما قال تعالى: {ولَئِنْ سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ لَيَقُولنَّ الله}[28].

والمفهوم من كلام ابن عاشور أنَّه يُعرِب (الذي) خبرًا لاسم الجلالة (الله)، وذلك في قوله: (وأخبر عنه بالموصول)، ثم يُعَلِّل ذلك بقوله: (لأنَّ الصلة معلومة الانتساب إليه والثبوت له)، ثمَّ يُعَلِّل معلوميَّة الصلة وانتسابها وثبوتها لاسم الجلالة (الله) من قِبَلِ المخاطَب/ المشركين في بقيَّة كلامه.

وإذا وضعنا كلام ابن عاشور تحت المجهر البلاغي لعبد القاهر، ألفينا أنَّ ثمَّة تعارُضًا؛ إذ كيف يكون الموصول خبرًا، مع علم المخاطب بانتساب جملة الصلة وثبوتها إلى الاسم المعرفة قبلها؟!!.

والراجح أنَّ الموصول يكون صفة، إذا علم المخاطَب بارتباط جملة الصلة بالاسم المعرفة قبلها، حسب ما طرحنا سالفًا.

لكن يبقى طرحُ هذا السؤال الجوهري: إذا أعربنا الاسم الموصول (الذي) صفة؛ لِعِلْمِ المتلقي – المؤمن، والمشرك والكافر الجاحد - بارتباط جملة الصلة بالاسم المعرفة قبلها (الله)، فأين سيكون الخبر؟

قلتُ: إذا كان المخاطَب هم جماعة المؤمنين، فيقدر الخبر بجملة في نهاية تعدُّد النعم بجملة - في الصيغة الاسميَّة – (هو المستحق للشكر على تلك النعم)، أو في الصيغة الزمنيَّة (اشكروه)[29]. وإذا كان المخاطَب مِمن لا ينتمي إلى جماعة المؤمنين، فيُقدَّر الخبرُ بجملةٍ - في الصيغة الاسميَّة – (هو المستحق للعبادة)، أو في الصيغة الزمنيَّة (اعبدوه).

وإذا لملمنا كلَّ ما سبق؛ من تطابُق الطرح التفسيريّ والطرح النحويّ التقعيديّ في إعراب الاسم الموصول (الذي) خبرًا في هذا الموضع، وما قدَّمتُهُ - استنادًا على الطرح البلاغيّ من قِبَلِ علَّامة البلاغة العربيَّة عبد القاهر الجرجاني – من إمكانيَّة إعراب الموصول (الذي) صفة، حسب نوع المتلقي وإدراك العلاقة بين جملة الصلة واسم الجلالة (الله)، هل يمكن الشروع في تفسير وإعراب عصريين للقرآن الكريم، من هذا المنطلق، ووفق هذا الطرح؟ !!! ربما.

واستكمالاً لهذا الجزء من الدراسة، نسوق المواضع التي يتبنَّى فيها النحويون وجهين لإعراب الاسم الموصول (الذي): الخبر أو الصفة. يقول (الله)تعالى: ﴿اللَّهُ **الَّذِي** رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى **يُدَبِّرُ** الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (الرعد: 2).

ويقول تعالى: ﴿اللَّهُ **الَّذِي** خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ **مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ** وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * **يُدَبِّرُ** الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة: 4، 5).

---

[26] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1415هـ– 1994م)، المجلد الرابع، ص455.

[27] ابن عطية (541هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (بيروت: دار ابن حزم، بدون تاريخ)، ص1057. وأبي السعود، **إرشـــــــــاد العقـــــــل السليم**، الجـــــزء الخامس، ص47. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، الجزء الثالث عشر، ص234.

[28] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، الجزء الثالث عشر، ص235.

[29] انظر في اعتماد الخبر على الصيغة الإنشائية: الرضي، **شرح الرضي على الكافية**، تحقيق: يوسف حسن عمر (بنغازي: منشورات جامعة قاز يونس، الطبعة الثانية، 1996م)، الجزء الأول، ض238. وابن عقيل، **شرح ابن عقيل، تحقيق**: محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: دار التراث، الطبعة العشرون، 1400هـ – 1980م)، المجلد الأول، الجزء الأول، ص203.

في الآية الأولى قدم محي الدين الدرويش وجهين لإعراب (الذي)؛ إما أن يُعرب خبرًا، أو صفة[30]. وفي حالة كون الاسم الموصول صفة تكون جملة (يُدَبِّر) خبرًا، أو جملة استئنافية[31].

وفيما يخصُّ التفاسير، أعرب الزمخشريُّ الاسمَ الموصولَ (الذي) خبرًا، أو صفة. وفي الحالة الثانية – كون الاسم الموصول صفة - تكون جملة (يُدَبِّر) خبرًا[32].

ويبدو أنَّ الطرح النحويَّ التقعيديَّ يسير– إلى حدٍّ بعيدٍ – خلف الطرح التفسيريّ، إلا في القليل، مثل الاختلاف بين الزمخشري وأبي السعود من ناحية وابن عاشور من ناحية أخرى في إعراب جملة (يُدَبِّر).

ولمناقشة ذلك، ينبغي التعرُّف أوَّلًا على طبيعة المخاطَب. والمخاطَب كما هو واضح من الآية الكريمة يندرج تحت ضرب الكفار[33]. ويتضح هذا من قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الرعد:1). أي أنَّ الخطاب لمن لا يؤمنون.

ووفق طبيعة المتلقي، فإذا كان الاسم الموصول خبرًا، يكون ذلك من جهة عدم إدراك المتلقي لعلاقة الترابط بين مضمون جملة الصلة (رَفَعَ السَّمَاوَاتِ، وما تلاها من معطوفات) واسم الجلالة (الله)، وتكون جملة (يدبر) استئنافيَّةً، أو حالًا، كما ورد في الطرح النحويّ والتفسيريّ.

وإذا كان الاسم الموصول (الذي) صفة، يكون ذلك من جهة علم المخاطَب بعلاقة الترابط بين مضمون جملة الصلة واسم الجلالة (الله)، مع جحوده وعناده وتكبُّره. وتكون جملة (يُدَبِّر) خبرًا، كما ورد كذلك في الطرح النحوي والتفسيري.

وكما مرَّ بنا في الصفحات السابقة، يُصِرُّ ابن عاشور على إعراب الاسم الموصول (الذي) خبرًا، ولم يقدِّم وجه الصفة، رغم إقراره بمعلوميَّة مضمون الصلة بارتباطها باسم الجلالة (الله)، وذلك في قوله: "و(الذي رفع) هو الخبر. وجُعل – أي الخبر - اسمَ موصول لكون الصلة معلومة الدلالة على أنَّ من تثبت له هو المتوحِّد بالربوبيَّة، إذ لا يستطيع مثل تلك الصلة غير المتوحِّد، ولأنَّه مُسَلَّمٌ له بذلك (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ الله)"[34].

وإذا التمسنا العذر للنحويين، في عدم تقديمهم مبررات لما يطرحونه من أوجه إعرابيَّةٍ للدوال القرآنيَّة، فإنَّه كان من الممكن أن يقدِّم الطرحُ التفسيريُّ هذه المبررات؛ إذ المساحة المتاحة له أوسع، وبخاصَّة أنَّ الأطروحات البلاغيَّة التي قدَّمها عبد القاهر الجرجاني كانت بين يدي الزمخشري وأبي السعود؛ إذ هما اللذان قدَّما وجه الصفة في إعراب الاسم الموصول(الذي)*.

وفي آياتي سورة السجدة أعرب ابن عاشور (الذي) صفة لاسم الجلالة (الله)، وجملة (مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ) خبرًا[35].

وقد اتفق مع ابن عاشور في هذا الإعراب محمود سليمان ياقوت، غير أنَّه أضاف وجه البدليَّة إلى الاسم الموصول (الذي) مع ثبوت وجه الصفة[36].

---

[30] محي الدين الدرويش، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، المجلد الرابع، ص64. وبهجت عبد الواحد صالح، **الإعراب المفصل**، المجلد الخامس، ص393. في حين اكتفى النحَّاس بوجه الخبر فحسب. انظر: النحَّاس، **إعراب القرآن**، تحقيق: خالد العلي (بيروت: دار المعرفة، ط2، 1429هـ - 2008م)، ص466. وتابع النحاس في الاكتفاء بوجه (الخبر) محمود سليمان ياقوت. انظر: ياقوت: **إعراب القرآن الكريم**، المجلد الخامس، ص2330.

[31] الدرويش، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، المجلد الرابع، ص64. وبهجت عبد الواحد صالح، **الإعراب المفصل**، المجلد الخامس، ص394. ومحمود سليمان ياقوت، **إعراب القرآن الكريم**، المجلد الخامس، ص2331.

[32] الزمخشري، **الكشاف**، الجزء الثاني، ص492. وانظر كذلك: أبي السعود، **إرشاد العقل السليم**، الجزء الخامس، ص3، أما ابن عاشور، فقد أعرب الاسم الموصول (الذي) خبرًا، وأعرب جملة (يدبر) حالًا لاسم الجلالة (الله). انظر: **التحرير والتنوير**، الجزء الثالث عشر، ص80، 81.

[33] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ص1026، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، الجزء الثالث عشر، ص79.

[34] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، الجزء الثالث عشر، ص80. وأنا لا أعلم كيف يكون ارتباط الخبر بالمبتدأ معلومًا؛ إذ الأصل أن يُجهل هذا الارتباط، حتى وإن كان المبتدأ والخبر معلومَيْنِ عند المخاطَب، ومن ثم عندما ترد الجملة الاسمية، تربط هذا بذاك بعلاقة الخبرية، فيدرك المتلقي العلاقة بينهما. أما إذا كان المتلقي يعلم المبتدأ، ويعلم مضمون جملة الصلة، ويعلم – كذلك – ارتباط هذا المضمون بالمبتدأ، وهو ما ذهب إليه ابن عاشور في معلومية ثبوت دلالة (الرفع)، وما تلاه من معطوفات لاسم الجلالة (الله)، فهذا هو عين الصفة، كما طرح علامة العربية عبد القاهر الجرجاني من قبل.

* جدير بالذكر أن عبد القاهر تُوفِّي في 471هـ، والزمخشري في 538هـ، وأبا السعود في 951هـ. أي أن ما قدَّمه عبد القاهر كان بين أيدي هؤلاء المفسرين.

[35] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، الجزء الحادي والعشرين، ص211.

[36] محمود سليمان ياقوت، **إعراب القرآن الكريم**، المجلد الثامن، ص3684.

أمّا محي الدين الدرويش فقد أعرب (الذي) خبرًا لاسم الجلالة (الله)[37]، في حين لم يقل بخبريّة جملة (مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ) لاسم الجلالة (الله)[38].

أما جملة (يُدَبِّر)، فقد أعربها الدرويش حالًا[39]، وأعربها ياقوت خبرًا آخر(لله)[40].

والآن نعقد المقارنة بين الأوجه الإعرابيّة للاسم الموصول (الذي) وخبر اسم الجلالة (الله) بين سورة الرعد وسورة السجدة على هذا النحو:

نحو- تفسيري	الرعد (الموصول)	الرعد (جملة الصلة)	السجدة (4،5) (الموصول)	السجدة 4 (جملة الصلة)	السجدة 5 (جملة الصلة)
	الذي	يدبر	الذي	(ما لكم...)	يدبر
الدرويش	خبر - صفة	خبر-استئناف	خبر		حال
ياقوت	خبر	استئناف	خبر- صفة-بدل	خبر-استئناف	خبر
الزمخشري	خبر- صفة	خبر			
أبو السعود	خبر - صفة	خبر			
ابن عاشور	خبر	حال	صفة	خبر	حال

وكما هو واضح، تجد للدال الواحد أكثر من إعراب، سواء كان لدى المفسرين أو النحويين. ولم يُقَدِّم أحدهم مبررًا لاختيار هذا الوجه أو ذاك. وهذا ما يجعلنا نطرح هذه الفكرة: إمّا أن نقدِّم تفسيرًا عصريًّا للقرآن يتناول أسباب الأوجه التفسيريّة والنحويّة السابقة، أو تفسيرًا عصريًّا يعتمد على عناصر الاتصال، ومن ثمّ الوصول إلى نتائج جديدة، سواء على الجانب التفسيري أو النحوي. وفي تلك الحال لا مناص لنا من الاعتماد على علم التأويل الذي يتكئ على الجوانب البلاغيّة والنحويّة التي تفرز التفسير العصريّ المنشود.

المطلب الثاني: الاسم الموصول (الذي) خبرٌ لضمير اسم الجلالة (هو)

وقد تُبنى منطقة المبتدأ على ضمير الغيبة (هو)، في حين تؤسَّس منطقة الخبر على الموصول (الذي)[41]. وفي بنية هذا الضرب من الخطاب، ترد جملة الصلةُ موسَّسةً على التركيب الزمنيّ في جُلِّ المواضع وقليلاً ما ترد في التركيب الاسمي، وقد جاء التركيب الزمنيُّ إمّا بالاعتماد على صيغة الماضي، أو بالاعتماد على صيغة المضارع.

وتتمثَّل الصورة الأولى المعتمدة على التركيب الزمني في زمن الماضي في قول (الله) سبحانه وتعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ** لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 29).

كما ترد الصورة الأخرى، المبنيّة في جملة صلتها على التركيب الزمني في زمن المضارع في قول (الله) تبارك وتعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ** فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: 6).

---

[37] محي الدين الدرويش، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، المجلد السادس، ص114. وهو ما ذهب إليه محمود ياقوت. انظر: **إعراب القرآن الكريم**، المجلد الثامن، ص3683.

[38] محي الدين الدرويش، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، المجلد السادس، ص114.

[39] محي الدين الدرويش، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، المجلد السادس، ص115. وانظر كذلك: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، الجزء الحادي والعشرين، ص212. وبهجت عبد الواحد صالح، **الإعراب المفصل**، المجلد التاسع، ص186، 187. وقد قدم بهجت صالح وجهين آخرين: وجه (الخبر) لاسم الجلالة، حالة كون (الذي) صفة له، أو خبرًا ثانيًا لاسم الجلالة حالة كون (الذي) خبرًا أول له.

[40] محمود سليمان ياقوت، **إعراب القرآن الكريم**، المجلد الثامن، ص3685.

[41] لما كان هذا التركيب من الكثرة بمكان في القرآن الكريم، آثرت أن أنتقي بعض المواضع، القائمة على التنوع في جملة الصلة، سواء أُتِيست الجملة الفعلية على زمن الماضي، أو على زمن المضارع (الذي يعني الحال والاستقبال)؛ والقائمة كذلك على بنية الفصل والوصل؛ لإظهار الإعجاز القرآني.

وبالتأمل في هذين الموضعين، وربطها بسياقها، يُتَعَرَّف على مدى بلاغتها في بناء منطقة المبتدأ على ضمير الغيبة (هو) العائد إلى اسم الجلالة (الله) سبحانه وتعالى.

يبدأ سياق الموضع الأوّل من الآية السابقة عليه، وهو قول (الله) عز وجل: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: 28). وكما هو واضح، فالخطاب - هنا - للكافرين. ولَمَّا كان الكفر من عظائم الذنوب، ذُكِر اسم الجلالة (الله) (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ). وفي الاندهاش من الكفر مع وجود النعم، جيء بضمير الغيبة (فَأَحْيَاكُمْ، يُمِيتُكُمْ، يُحْيِيكُمْ، إِلَيْهِ)؛ إذ ورد في منطقة الفاعليّة المستترة من هذه الأفعال، ثم في منطقة المجرور المتصل في (إِلَيْهِ).

ولَمَّا كان ذلك كذلك، أي الإتيان بضمير الغيبة في جانب النعم، مع إكمال الآية الثانية بقية هذه النعم على المخاطَبين (خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا)، كان طبيعيًّا- اتساقًا مع النسق القرآنيّ - أن يرد ضمير الغيبة في منطقة المبتدأ (هُوَ الذِي).

وسار النسقُ القرآنيُّ على هذا الانسجام وتلك البلاغة في بقيّة الآية؛ إذ ورد ضمير الغيبة (هو) في منطقة الفاعليّة المستترة للفعلين (اسْتَوَى، فَسَوَّاهُنَّ)، وفي منطقة المبتدأ في خاتمة الآية الكريمة (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

وفي البدء بضمير الغيبة (هو)، يقول الإمام البقاعي: "قال الحرالي: وهي كلمة مدلولها العلي غيب الألوهيّة، القائم بكلّ شيءٍ، الذي لا يظهر لشيءٍ، فذاته أبدًا غيبٌ، وظاهره الأسماء المظهرة من علو إحاطة اسم (الله) إلى تنزُّل اسم الملك"[42].

وفي بلاغة الفصل التي بُنيتْ عليها الآية، يقول ابن عاشور: "وفصل الجملة السابقة يجوز أن يكون لمراعاة كمال الاتصال بين الجملتين؛ لأنَّ هذه كالنتيجة للدليل الأول"[43]. وهذا ما سُقْناه عند مبرّرات بدء الآية بضمير الغيبة (هو).

ويرى الألوسي رأيًا آخر، فيقول عن هذه الآية: "معطوف على قوله تعالى (وكنتم)، وتُرِك العطف إمَّا لكونه كالنتيجة له، أو للتنبيه على الاستقلال في إفادة ما أفاده، وذكر أنَّه بيان نعمة أخرى مترتبة على الأولى"[44].

ولَمَّا سيق السؤال بـ (كيف) في: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ) للدلالة على إنكار كفر هؤلاء بـ (الله)، والاندهاش من هذا الكفر؛ لأنَّه كفر بالمُنعِم، كان من الطبيعي أن يأتي الاستدلال بأفعال (الله) سبحانه وتعالى للمخاطَب بالماضي؛ إذ الماضي لا يمكن إنكاره؛ لذا قال لهم: (وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا)، ولَمَّا كانت الآية الثانية من مقتضيات الاستدلال، ورد زمن (خلق) في صيغة الماضي، الذي لا شكّ فيه؛ ليُقيمَ الحجَّةَ عليهم.

أما الضرب الآخر، المبني في جملة صلته على التركيب الزمني في زمن المضارع، فقد ورد في قول (الله) تبارك وتعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ** فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران:6).

إنَّ التأمُّل في سياق الآية الكريمة، يدلّنا على أنَّها وردت في إطار قيوميّة (الله) - سبحانه وتعالى -، وإخضاع كلّ شيءٍ لأمره هو لا غيره. ولنقرأ السياق من بدايته. يقول مولانا - جلَّ وعلا-: ﴿الم* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ* رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران:1 - 9).

وكان طبيعيًّا أن يبدأ السياق بالإظهار في منطقة المبتدأ في الآية الثانية (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ). وللتنوع بين الإظهار والإضمار في أسلوب الذكر الحكيم، ورد اسم الجلالة (الله) في منطقة الإضمار أربع مرّات، حتَّى إذا وصل السياق إلى خاتمة الآية الرابعة أُظْهِرَ في منطقة المبتدأ (وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ)، وكذلك في بداية الآية الخامسة (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى)، ثم لَمَّا جاء الدور على الإضمار، بدأت الآية السادسة (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ).

---

[42] البقاعي، **نظم الدرر**، الجزء الأول، ص220.

[43] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، الجزء الأول، ص378.

[44] محمود شكري الألوسي، **روح المعاني**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ)، الجزء الأول، ص214.

إنَّ اعتماد الإعجاز القرآني على الانتقال بين الإظهار والإضمار ينمُّ عن نُكْتتين: **الأولى صوتيَّة**، تتمثَّل في التنوع في القراءة بين ترديد اسم الجلالة (الله) وضمير الغيبة (هو) سواء أكان منفصلًا أمْ متصلًا، أم حتى مستترًا من خلال فهمه والوقوف على مهمَّته الدلاليَّة. وهذا التنوع من شأنه أن يعطيَ مذاقًا خاصًّا للقراءة في كتاب (الله) - عز وجل -، كما أنَّه ينفي ويدفع عن عملية القراءة أيَّ رتابةٍ أو مللٍ.

وهذه النكتة الصوتية تذكرنا ببنية الالتفات التي تنتقل بالضمائر من ضرب إلى آخر، مما يقي الأسلوبَ من الرتابة والملل، ويبعث على تجديد نشاط المتلقي واستدراره.

أما **الأخرى** فهي **دلاليَّة**، متمثِّلة في عود ضمير الغيبة (هو) إلى اسم الجلالة (الله) - عزَّ وجلَّ -، ومن ثمَّ إسناد كلِّ المضامين اللغويَّة التي ترد في المواضع المختلفة وإرجاعها إلى فاعل واحد هو (الله) - سبحانه وتعالى -. وهو ما يبعث على ارتياحٍ نفسيٍّ للمؤمن، من أنَّ كلَّ شيءٍ، وكلَّ ما يقع في الكون فهو من (الله) وإليه.

ولما كانت سورة (آل عمران) يشملها موضوعٌ بعينه في مجمل مضامينها، وهو الحديث عن سيدنا عيسى - عليه السلام -، وما قيل عنه من جانب اليهود، جيء بضمير الغيبة (هو) مع التصوير (يصوركم)؛ ليقول لهؤلاء ومن يسير على ضربهم: إنَّ (الله) الذي له القيوميَّة على السموات والأرض بكلِّ ما فيها ومن فيها، التي سبق التعريف به بداية من السورة، هو هو وليس غيره الذي يصوركم ويخلقكم في بطون أمهاتكم كيف يشاء، أي على الكيفيَّة التي يريدها: تارة بطريق المعجزة والقدرة المطلقة، وتارة بالمنطق المعروف للبشر من أبٍ وأمٍّ.

أمَّا عن مجيء جملة الصلة اسميَّة فمثل قوله – عزَّ وجلَّ -: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ (الزخرف: 84). يُعرَب الاسم الموصول (الذي) في الآية في محلِّ خبرٍ للضَّمير(هو)، وجملة صلته هي (في السَّماء إله). والآيات السابقة من سورة (الزخرف) تتحدَّث عن قضية التوحيد، فهي تذكر مزاعم أهل الكتاب وعقائدهم الفاسدة من نسبة الولد إلى الله – تعالى عزَّ وجلَّ عن لك – فجاءت الآية تبطل هذه المزاعم، وتثبت كمال ألوهيَّته تعالى، فبيَّنت عظمة ملكه، وأنَّه المعبود في السماوات والأرض، الغني عن الشريك والولد.

يقول ابن عاشور: "إنَّ قوله: "هو الذي في السماء إلهٌ، وفي الأرض إلهٌ "تدلُّ على نفي إلهيَّة غيره في السماء والأرض واختصاصه بالإلهيَّة فيها لِمَا في صيغة القصر من إثبات الوصف له ونفيه عمَّن سواه"[45].

المبحث الثالث: الاسم الموصول فاعلٌ في محلِّ لفظ الجلالة (الله) المحذوف

وفي منطقة الرفع يرد قول (الله) سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ **ٱلَّذِي** نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان:1)[46].

وبمراجعة هذه الآية الكريمة، يدرك أنَّ هناك مستويين من التحليل يتعلَّقان بالاسم الموصول (الذي): **الأول** ظاهر / مرئي، وهو المستوى النحوي؛ فاسم الموصول (الذي) يُعرَب فاعلًا للفعل (تبارك). **الآخر:** تحتي / عميق، وهو المستوى البلاغي؛ فاسم الموصول (الذي) صفة لاسم الجلالة (الله) المحذوف لدواعٍ بلاغيَّةٍ.

وإذا كان المستوى الأول/ النحوي من الوضوح بمكانٍ، فإنَّ تحليلنا سينصبُّ على المستوى الآخر / البلاغي؛ إذ به يتعلَّق الإعجازُ القرآنيُّ، وتُؤدَّى الدلالة في أبهى صورها.

وبداية، فإنَّ الفعل (تبارك) قد ورد في القرآن الكريم في ثمانية مواضع[47]. ومعناه اللغوي: تقدَّس وتنزَّه وتعالى وتعـــاظم، ولا تكون هذه الصفة لغير (الله) - سبحانه وتعالى -[48]. وكلُّ موضعٍ ذُكِر فيه لفظ (تبارك)، فهو تنبيه على اختصاصه - تعالى - بالخيرات المذكورة مع ذكر (تبارك)[49].

ولا يأتي من هذا الفعل صيغة المضارع ولا الأمر؛ فهو فعلٌ جامدٌ. وهنا يقول محيي الدين الدرويش: "وتبارك فعلٌ ماضٍ، أي تقدَّس وتنزَّه، وهو فعلٌ جامدٌ لا يتصرف، أي لا يأتي منه مضارعٌ ولا أمرٌ ولا اسمُ فاعلٍ"[50]. ويُعلِّل أحدُ اللغويين جمودَ الفعل (تبارك)، فيقول: "الفعل (تبارك) فعلٌ جامدٌ؛

---

[45] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج25، ص268.

[46] وقد ورد هذا التركيب (تبارك الـــذي) فـــي ثلاثـــة مـــواضع أخرى. انظـــر: ســـــورة (الفرقان: 10، 61)، وسورة (الملك: 1).

[47] فضلًا عن هذه المواضع، انظر: (الأعراف: 54)، و(المؤمنون: 14)، (غافر: 64)، و(الرحمن: 78).

[48] ابن منظور، **لسان العرب** مادة (برك).

[49] الراغب الأصفهاني (425هـ)، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق صفوان عدنان داوودي (دمشق: دار القلم، الطبعة الرابعة، 1430هـ – 2009م)، ص120.

لأنَّ (الله) قد تبارك في الأزل، فلذلك يلزم مثل هذا الفعلُ الزمنَ الماضيَ. ومثله كلُّ فعلٍ يدلُّ على صفةٍ من صفات (الله) الأزليَّة مثل: (تقدَّس، تنزَّه، تعالى، تطهَّر، تعاظم). وهذه الأفعال إنَّما تكون جامدة عند إسنادها إلى لفظ الجلالة (الله)؛ فجمودها مؤقَّت مرهون بالفاعل الذي هي مسندة إليه"[51].

وبالعودة إلى قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، نجد أنفسنا مشدودين لطرح عبد القاهر الجرجاني، الذي فحواه أنَّ المخاطَب على علمٍ بمضمون جملة الصلة، وارتباط هذه الجملة بموصوفها. وعندما تأتي بالموصول (الذي) فأنتَ تريد أن تُطلِع المتلقيَ على أنَّ صاحب مضمون الصلة والمتصف بهذا المضمون هو هو مَن يَرِد قبل (الذي). ومن ثمَّ سميتَ هذا الاسم بالاسم الموصول[52].

ومن هنا يمكن القول: إنَّ المخاطَب المتلقي للقرآن الكريم (مسلم أو غير مسلم) على مرِّ الدهور، سواء اعترف وأقرَّ بذلك أو لم يعترف، يعلم يقينًا – وإن ساقه الكبر والجحود لغير المسلمين– أنَّ مَن نَزَّل الفرقان على النبي ﷺ ليكون نذيرًا للعالمين هو (الله) - جلَّ في عُلاه -. ومن ثمَّ فإنَّ مجيء الاسم الموصول (الذي) في منطقة الفاعل، يقول للمخاطَب: إنَّ (الله) الذي قد عرفت أنَّه صاحب هذا التنزيل، هو هو من (تبارك)، وكثر خيره، المتجلي هنا في تنزيل القرآن؛ ليكون نذيرًا للعالمين.

وهنا يقول ابن عاشور: "والتعريف بالموصول هنا لكون الصلة من صفات (الله) في نفس الأمر، وعند المؤمنين، وإن كان الكفار ينكرونها لكنَّهم يعترفون أنَّ الرسول أعلنها، فـ(الله) معروف بذلك عندهم معرفة بالوجه لا بالكنه الذي ينكرونه"[53].

فإن قلتَ: ومن أين أتت معرفة المخاطَب بأنَّ (الله) هو منزل الفرقان قبل هذا الموضوع، وسورة (الفرقان) هي أوَّل السور المكيَّة التي ورد فيها دال (الفرقان)؟ قلتُ: صحيح أنَّ هذا هو الموضع الأوَّل الذي ورد فيه دالُّ (الفرقان)، ولكنَّ في ترتيب السور في المصحف الشريف، وضعت سورة (البقرة) – وهي أولى السور المدنيَّة - قبل سورة (الفرقان). ومن ثمَّ فقد سبق قوله – تعالى -: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: 53) من حيث الترتيب، وبخاصَّةٍ أنَّ هذا الترتيب هو ترتيبٌ توقيفيٌّ صادرٌ عن حكيمٍ[54]. هذه واحدة.

الثانية: أنَّه إذا كان دال (الفرقان) يعني التفرقة بين الحق والباطل – كما ورد في التفاسير المتعدِّدة للقرآن الكريم – فإنَّ الكتب السماويَّة السابقة تندرج على نحو من الأنحاء تحت هذه الدلالة. وهذا ما ورد عند الإمام الطبري في تفسيره لـ (لكتاب) في الموضع السابق بـ (التوراة) ولـ (لفرقان) بالتفرقة بين الحق والباطل. ولَمَّا كان نزول الكتب السماويَّة السابقة سابقًا على نزول القرآن، فقد لزم معرفة المخاطَب – يهود ونصارى وعرب الجاهلية الذين كانوا يعرفون الكثير عن الديانات القديمة – بأنَّ (الله) هو من أنزل (الفرقان) على نبيه ورسوله ومصطفاه سيدنا محمد ﷺ.

وتأكيدًا لهذه الدلالة وردت الآية الثانية في قوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: 2). والمخاطَب يعرف كذلك مَنْ له ملك السموات والأرض، ومَنْ لم يتخذ له شريكًا في الملك، ومَنْ خلق كلَّ شيءٍ فقدره تقديرًا. كل هذا المخاطَب يعلم موصوفه أو صاحبه. وإنَّما أدَّى الموصول (الذي) هنا دورًا بلاغيًّا في إطلاع المخاطَب وإبلاغه على صفتي البركة والتقديس وارتباطها بمن يعرفونه.

وفي بدء السورة بهذا الاستهلال لفتةٌ بلاغيَّةٌ. لقد بدأت السورة الكريمة بالإنذار، مما يعني أنَّ المخاطَب الذي تضمنته هذه السورة الكريمة من ضرب المعاندين/ أي الكفار والمشركين. لذا فإنَّ البدء باتصاف الباري - جلَّ وعلا - بما يحويه هذا الفعل (تبارك) من نعمٍ معنويَّةٍ وحسيَّةٍ، مع معرفتهم في الوقت نفسه بـ (الله) جلَّ في علاه، لهو من قبيل إقامة الحجَّة على هؤلاء، بل ربما يكون تقريعًا لهم على ما ستسرده لهم السورة الكريمة من صفات.

ومن كثرة ما اتصفوا به من كفرٍ ونكرانٍ، شملهم مقطعٌ قرآنيٌّ طويلٌ، بداية من الآية الأولى حتى الآية الرابعة والثلاثين، وهي قول (الله) - عزَّ وجلَّ -: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: 34).

---

[50] محي الدين الدرويش، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، المجلد الثاني، ص564.

[51] إبراهيم الشمسان، **دروس في علم الصرف** (مكتبة الرشد، ط3، 1425هـ–2004م)،الجزء الأول، ص49.

[52] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص199، 200.

[53] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، الجزء الثامن عشر، ص316. وجدير بالذكر أن الفعل (تبارك) له دلالتان: دلالة حسية ودلالة معنوية. والدلالتان تليقان بالمقام؛ سواء أكان هداية من (الله) أم بركة بالخير. ويحسن الرجوع في ذلك إلى التفاسير المتعددة للقرآن الكريم؛ لأننا هنا بصدد التركيز على مظهر لغوي محدد، وهو وقوع الاسم الموصول (الذي) في منطقة الفاعلية من الفعل (تبارك).

[54] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، الجزء الأول، ص260. وانظر: سورة (البقرة: 185)، وسورة (آل عمران: 4)، وسورة (الأنبياء: 48).

وإذا أردنا أن نضرب مثالًا آخر على وقوع الاسم الموصول (الذي) في موقع الفاعل، فليكن قول (الله) عز وجل: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا **الَّذِي** أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: 79).

والأمر نفسه هنا، فمضمون صلة الموصول (أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)، معروف لدى المخاطَب وهو أُبَيُّ بن خلف الجُمَحِي[55] ومن على شاكلته من الكفار أنَّ الذي أنشأها أوّل مرَّةٍ هو (الله)، والذي هو بكلِّ شيءٍ عليم هو (الله)؛ إذ كثيرًا ما سمعوا هذا من النبي ﷺ صدَّقوا ذلك، أو لم يُصدِّقوا.

ومن هنا جاء الاسم الموصول (الذي) في منطقة الفاعليَّة من الفعل (يُحْيِي) ليعيد إليهم ما عرفوه، رابطًا بينه وبين عمليَّة الإحياء هنا. أي (الله) الذي تعرفونه متصفًا بمضمون الصلة هو هو الذي يحييها.

وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور كذلك؛ إذ يقول: "وأَمْرُ النبي ﷺ بأن يقول له (يحييها الذي أنشأها) أَمْرٌ بجواب على طريقة الأسلوب الحكيم بحمل استفهام القائل على خلاف مراده؛ لأنَّه لما قال (من يحيي العظام وهي رميم) لم يكن قاصدًا تطلب تعيين المحيي، وإنَّما أراد الاستحالة، فأُجيب جواب من هو متطلب علمًا. فقيل له: (يحييها الذي أنشأها أوَّل مرة). فلذلك بنى الجوابَ على فعل الإحياء مسندًا للمحيي، على أنَّ الجواب صالح لأن يكون إبطالًا للنفي المراد من الاستفهام الإنكاري، كأنه قيل: بل يحييها الذي أنشأها أول مرة. ولم يبنِ الجواب على بيان إمكان الإحياء، وإنَّما جعل بيان الإمكان في جعل المسند إليه موصولًا لتدلَّ الصلة على الإمكان، فيحصل الغرضان.

فالموصول هنا إيماء إلى وجه بناء الخبر وهو يحييها؛ أي يحييها لأنَّه أنشأها أوَّل مرَّة، فهو قادر على إنشائها ثاني مرَّة كما أنشأها أوَّل مرَّة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الواقعة: 62). وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الروم: 27)[56].

وتأكيدًا لمعرفة المخاطَب بموصوف جملة الصلة، فإنَّ هناك ملمحًا لغويًّا انتظم هذه الآيات، وهو تعانق الاسم الموصول بجملة صلةٍ جديدةٍ، حاملة لسمة أخرى لا تختصُّ إلا بالموصوف نفسه كذلك.

فمثلًا في قوله - سبحانه وتعالى -:﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: 1) يتبعه بقوله – عزَّ وجلَّ -: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: 2). وفي قوله – تعالى شأنه -: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (الفرقان: 61)، يتبعه بقوله – تبارك اسمه -: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (الفرقان: 62). وفي قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الملك: 1)، يتبعه بقوله – جلَّ جلاله -: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (الملك: 2، 3).

أما قوله - تبارك وتعالى -: ﴿تَبَارَكَ **الَّذِي** إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾ (الفرقان: 10) لم يتْبع بتركيبٍ موصولٍ آخرَ؛ لأنَّ الخطاب للنبيِّ ﷺ، وهو أعرف الناس بربِّه سبحانه وتعالى.

المبحث الرابع: الاسم الموصول مفعول به في محلِّ لفظ الجلالة (الله) المحذوف

وأمَّا في منطقة المفعوليَّة، فقد ورد قول (الله) تعالى: ﴿وَاتَّقُوا **الَّذِي** أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ (الشعراء: 132)، وقوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا **الَّذِي** خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ (الشعراء: 184). وقوله سبحانه: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس:22).

آثر الأسلوبُ القرآنيُّ في هذه الآيات العدولَ عنِ التَّصريح بالاسم، فلم يُصرِّح الأسلوبُ بذكر (الله)، وإنَّما عدَلَ في ذلك إلى استعمال الاسم الموصول (الذي)، والعدول كما قال البلاغيُّون: "بابٌ منَ البلاغة يُصار إليه كثيرًا، وإنْ أورث تطويلا"[57]، والعدول إلى الاسم الموصول في هذه الآيات

---

[55] النيسابوري، **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ - 1991م)، ص379.

[56] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، الجزء الثالث والعشرين، ص75، 76.

[57] يوسف بن محمد بن علي السَّكاكيّ، **مفتاح العلوم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ - 2000م)، ص273.

يناسب سياقَ الآيات وموضوعها؛ لأنَّ الآيات تتحدَّث عن الإيمان بالله والتوحيد به، ومن ثمَّ كان الاكتفاءُ بالتصريح باسم (الله) لا يناسب السياق؛ لأنَّ المخاطَبين والمدعوّين إلى التصديق بدعوة الرسول والإيمان بوحدانيَّة الله لم يعرفوا الله بعد، ولم يتعرَّفوا طبيعته وقدرته وصفاته، لذا استعمل الأسلوب القرآنيُّ في هذه المواضع وفي هذه السياقات الخطابيَّة الاسمَ الموصول لِمَا له من قدرةٍ خطابيَّة على التعريف والتفصيل والوصف لصاحب هذا الاسم الموصول، ولذلك وجدنا تلك الآيات تقدِّم كلُّ واحدةٍ منها صفةً من صفاتِ الله وقدرةً من قُدراته، فهو في الأولى عالمٌ يمدُّ الناس بما يعلمون، فلا قدرة للبشر ولا معرفة بغير تقدير الله وإرادته بذلك، وفي الثانية صفة الله الخالق، فهو خالق الأولين والآخرين، ولا خالق لكل ما في الكون غيره، ولذا كان – عزَّ وجلَّ – أولى بالعبادة والطاعة، وفي الآية الثالثة تأتي صفة الله الفاطر لجميع الخلائق فهو المتحكِّم فيهم بدءًا وخاتمةً، وهو المبدئ والمعيد، فالآيات كما نرى تؤكِّد وحدانيَّة الله بهذا الأسلوب الذي يُبيّن بالدليل على ألوهيَّة الله ووحدانيَّة.

المبحث الخامس: الاسم الموصول بدل من لفظ الجلالة

وفي منطقة البدليَّة يرد قول (الله) تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ **إِلَّا الَّذِي** آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس:90)[58]. لماذا فضَّل القرآن أسلوب الاستثناء الذي يفيد القصر واستعمل (الذي) بدلا من ذكر (الله) في قوله {آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ **إِلَّا الَّذِي** آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ} فلم يقل: آمنت بالله أو آمنت بإله موسى؟ في جواب ذلك يبرز إعجازُ الخطابِ في القرآنيّ في دقَّة اختيار ألفاظه، فلو أنَّ القرآن قال على لسان فرعون: آمنت بإله بني إسرائيل أو بإله موسى لدلَّ على جواز وجود آلهةٍ أخرى؛ لأنَّ هناك أناسًا آخرين غير موسى وبني إسرائيل لهم آلهتهم، ولكنَّ أسلوب الاستثناء القصريَّ حصر وقصر الألوهيَّة في إله بني إسرائيل وهو الله – جلَّ جلاله -، كما أن إضافة كلمة "إله" إلى بني إسرائيل دون موسى – عليه السلام – يدلُّ على أنَّ الله – عزَّ وجلَّ – ليس إله موسى فقط، بل إله الجميع.

المبحث السادس: الاسم الموصول مستثنى محل لفظ الجلالة (الله) المحذوف

وفي منطقة الاستثناء يرد قول (الله) - سبحانه وتعالى -: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ (الزخرف: 27). (إلَّا) أداة استثناء، و(الذي) مستثنى، والاستثناء منقطعٌ، كأنَّه قال: لكنَّ الذي فطرني فإنَّه سيهدين، ويجوز أن يكون الاستثناءُ متَّصلاً بناءً على أنَّهم كانوا يشركون مع الله عبادة الأصنام، وأجاز الزمخشري وغيرُهُ أن تكون (إلَّا) صفةً بمعنى غير، على أنَّ (ما) في (ما تعبدون) موصوفة تقديره إنَّني برآء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني[59]

ومنه قوله - تباركت أسماؤه -: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى **الَّذِي** فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(هود: 51) (إنْ) نافيةٌ، وأجري مبتدأٌ، و(إلَّا) أداةُ حصْرٍ، و(على الذي) خبرٌ، وجملة (فطرني) صلةٌ[60].

استعمل الخطاب القرآني في هاتين الآيتين الاسم الموصول (الذي) بدلاً من لفظ الجلالة (الله) المحذوف في أسلوب الاستثناء، وقد جاء العدول عن التصريح باسم الجلالة (الله) إلى الاسم الموصول (الذي) في خطاب الأنبياء إلى أقوامهم في بيان أحقيَّة الله بالعبادة والتوحيد والألوهيَّة دون غيره؛ حيث جاء الاسم الموصول (الذي) بعد أداة الاستثناء ومحلّ لفظ الجلالة (الله) المحذوف وذلك للإيجاز، ولدلالة السياق عليه، فالآيتان تنفيان على لسان النبيين الكريمين (إبراهيم وهود) – عليهما السلام - وجودَ آلهةٍ تستحقُّ العبادة غير الله، وهو أسلوبٌ حجاجيٌّ يستعمله القرآنُ في محاجَّة المكذِّبين والشاكّين أو حتَّى في محاجَّة النفس لإثبات ألوهيَّة الله ووحدانيَّته، ولذلك نجد جملةَ الصلة (فطرني) تحمل دائما الدليلَ القرآنيَّ على هذه الألوهيَّة وتلك الوحدانيَّة. فالله وحده الفاطر لجميع خلقه فهو الذي بدأهم وأنشأهم من عدم وهو القادر إماتتهم وإحيائهم وبعثهم مرَّة أخرى، ومن يكذِّب هذا الدليلَ فعليه نفيه وإثبات خلافه، ومن هذا نرى دقَّة وبلاغة الأسلوبِ القرآنيّ في استعمال الاسم الموصول مع لفظ الجلالة.

---

[58] في هذه الآية الكريمة تعرب (إلا) حرف استثناء مبني على السكون، و(الذي) اسم موصول مبني على السكون، و(إلا الذي) في محل رفع بدل من موضوع (لا إله). انظر: محمود سليمان ياقوت، **إعراب القرآن الكريم**، المجلد الخامس، ص2087.

[59] محي الدين الدرويش، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، المجلد التاسع، ص79.

[60] محي الدين الدرويش، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، المجلد الرابع، ص379.

المبحث السابع: الاسم الموصول مجرور محل لفظ الجلالة (الله) المحذوف

وفي منطقة الجر بالإضافة يرد قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ **الَّذِي** أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: 1). وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَسُبْحَانَ **الَّذِي** بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: 83). كما جاء مجرورًا بحرف الجر، في مثل قوله - تباركت أسماؤه -: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى **الَّذِي** فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(هود: 51)، وقوله - عظم جاهه -: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ **بِالَّذِي** خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (الكهف: 37).

وإذا أردنا التفتيش وراء العلل البلاغيّة من هذا الحذف النحويّ، ألفينا أنَّ ثمَّة علتين تترتَّب إحداهما على الأخرى: **الأُولَى** أنَّ اتباع الذكر الحكيم لهذا المسلك اللغويّ يبعث على إثارة ذهن المتلقي ولفت انتباهه؛ إذ عليه أن يبحث عمن يتصف بالصفات الكامنة في صلة الموصول. وفي عمليَّة البحث هذه، لا يجد المتلقي بُدًّا من التفتيش عن المواضع القرآنيَّة التي تربط مباشرة بين الموصوف المحذوف - نحويًّا وهو (الله) – ومضمون جملة الصلة، كما بينا في التحليل السابق.

الأخرى: أنَّ الربط الدلاليَّ بين مواضع حذف الموصوف (الله) والمواضع المذكور فيها، وارتباطه في الموضعين بمضمون جملة الصلة؛ إذ هو المتصف الأوحد بها، تُبْرِز إلى أي مدى اتَّسم النصُّ القرآنيُّ بالتماسُك اللغويّ والحبك الفنيّ. وهو ما ولَّد لدينا مقولة (تفسير القرآن بالقرآن) أو (أنَّ القرآن يُفسِّر بعضُه بعضًا).

وإذا كانت هاتان العلَّتان عامَّتين، فإنَّ ثمَّة بعض العلل التي تختلف من موضوعٍ لآخرَ، حسب السياق الذي ترد فيه؛ منها على سبيل المثال إظهار الكبر والتعالي والعزَّة بالإثم، كما ورد في موضوع سورة (يونس)؛ إذ لم يقل فرعون: آمنت بـ(الله)، وإنَّما استخدم الموصول (الذي) مـــع علمه أنَّ مضمـــــون الصلة (آمنت به بنو إسرائيل) يعود إلى (الله)[61].

وفي بعض المواقع القرآنيَّة، يرد اسم الجلالة (الله) أو أحد أسمائه الحسنى قبل (الذي)، ثم يُتْبَعُ بوصف آخرَ، ففي ورود اسم الجلالة (الله)، يقول مولانا: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾(طه: 98)، ﴿هُوَ **اللَّهُ** الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (الحشر:22). وفي ورود أحد أسمائه الحسنى يقول تعالى:﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى **الْحَيِّ** الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا * الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: 58، 59). فإن قيل: ما العلة؟ قلتُ: لتأكيد الوحدانيَّة، ودرء التوهُّم بالشرك في الموضعين الأولين، ودرء توهُّم أنَّ ما يجري على الأحياء من الخلق- في عمليَّة الموت - يجري على الخالق، في الموضع الثاني؛ فهو لا يموت. لأنَّه ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير.

النتائج

توصَّلت الدراسة بعد تمام انتهائها إلى بعض النتائج، منها:

1. كثرة استعمال الخطاب القرآنيّ للاسم الموصول، وفي مواضع مختلفةٍ في تراتبيَّة الجملة.
2. للاسم الموصول معانٍ تتزايد وتَغْنَى مع التراكيب القرآنيَّة، وهذه المعاني تختلف باختلاف المخاطَب والسياق.
3. إنَّ دقَّة التأمُّل في الاسم الموصول وصلته في الشواهد التي ذكرناها تدلُّ على أنَّ اختيار الخطاب القرآنيّ للاسم الموصول مع لفظ الجلالة (الله) اختيارٌ أسلوبيٌّ يهدف إلى التعبير عن العقيدة التي تتحكَّم في تفكير وسلوك الأشخاص الذين يُخاطَبون بذلك الأسلوب.
4. إنَّ الاسم الموصول الذي يأتي بعد لفظ الجلالة (الله) يمكن إعرابه خبراً أو صفةً، وذلك حسب علاقة المخاطَب بجملة الصلة، أو بالأحرى حسب نوع المتلقي وإدراك العلاقة بين جملة الصلة واسم الجلالة (الله)، فإذا كان الاسم الموصول خبرًا، يكون ذلك من جهة عدم إدراك

[61] وقد يرد حذف الموصوف في غير اسم الجلالة (الله) مع ثبوت الصفة في الاسم الموصول (الذي)، مثل قوله تعالى مثلًا: ﴿وَقَالَ **الَّذِي** اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ (يوسف: 21)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ **الَّذِي** نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾(يوسف: 45)، وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ **الَّذِي** آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾(غافر: 30)، وكذلك: 38. وبتأمل تلك المواضع، يدرك أن الاسم الموصول (الذي) يعرب في النحو التقعيدي فاعلًا، غير أنه على المستوى التحتي صفة للفاعل المحذوف، وغرض الحذف هنا يكمن في عدم الاهتمام بتفاصيل الموصوف المحذوف، وإنما ينصب الاهتمام على أهمية مضمون مقول القول.

المتلقي لعلاقة الترابط بين مضمون جملة الصلة، وإذا كان الاسم الموصول (الذي) صفة، يكون ذلك من جهة علم المخاطَب بعلاقة الترابط بين مضمون جملة الصلة واسم الجلالة (الله)، مع جحوده وعناده وتكبُّره.

5. كشفت الدراسة حاجتنا إلى تفسيرٍ عصريٍ للقرآن يتناول أسباب الأوجه التفسيريّة والنحويّة السابقة، أو تفسيرٍ عصريٍ يعتمد على عناصر الاتصال، ومن ثمَّ الوصول إلى نتائج جديدة، سواء على الجانب التفسيري أو النحوي. وفي تلك الحال لا مناص لنا من الاعتماد على علم التأويل الذي يتكئ على الجوانب البلاغيّة والنحويّة التي تفرز التفسير العصريَّ المنشود.

6. يحذف الخطاب القرآني لفظ الجلالة (الله) ويصرح بالاسم الموصول (الذي) محله، وذلك لإثارة ذهن المتلقي ولفت انتباهه؛ إذ عليه أن يبحث عمن يتصف بالصفات الكامنة في صلة الموصول. وفي عمليّة البحث هذه، لا يجد المتلقي بُدًّا من التفتيش عن المواضع القرآنيّة التي تربط مباشرة بين الموصوف المحذوف - نحويًا وهو (الله) – ومضمون جملة الصلة، كما ذلك الأسلوب يعمل على تماسُك النصِّ القرآني، حيث تفسِّر آياتُ القرآن بعضها بعضا.

7. أنَّ جملة الصلة بعد الاسم الموصول مع لفظ الجلالة (الله) تهدف التعريف بالموصول، أي التعريف بالله وبيان صفاته، لذلك غلبت عليها الفعليّة التي تبدأ بأفعال الخلق والقدرة، مثل: (فطر، خلق، يبدأ الخلق، أنشأ، يُصوِّركم، جعل، رفع، نزَّل، إن شاء جعل)، وقلَّت فيها الجملة الاسميَّةُ، وما جاء منها دلَّ – أيضا – على قدة الله ومُلْكِه مثل: (له ملك، بيده ملك)، وجملة الصة بنوعيها بهذا الأسلوب هي مقصودة؛ لأنَّها جاءت في سياق التوحيد، وإثبات ألوهيّة الخالق - عزَّ وجلَّ – بهدف التعريف بالله لمن لا يعرف، والتأكيد لمن يرتاب، والتهديد لمن يتكبَّر ويُعاند.

المراجع

ابن عاشور، محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب. **المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. بيروت: دار ابن حزم، بدون تاريخ.

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي المصري. **شرح بن عقيل**. تحقيق. محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: دار التراث، الطبعة العشرون، 1400هـ – 1980م.

ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي. **شرح المفصَّل للزمخشري**. تحقيق. إميل بديع يعقوب. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1422هـ – 2001م.

أبـــو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي. **إرشاد العقل السليم إلى مـــــــزايا القرآن الكريم**. بيروت: دار إحيـــاء التراث العـــــربي، بدون تاريخ.

الأزهري. خالد عبد الله. **شرح التصريح على التوضيح أو التوضيح بمضمون التصريح في النحو**. بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2006م.

الأصفهاني، الراغب. **مفردات ألفاظ القرآن**. تحقيق. صفوان عدنان داوودي. دمشق: دار القلم، الطبعة الرابعة، 1430هـ – 2009م.

الألوسي، محمود شكري. **روح المعاني**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

التونجي، أبو محمد. **المعجم المفصَّل في الأدب**. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1419هـ – 1999م.

الجرجاني، عبد القاهر. **دلائل الإعجاز**. تحقيق. محمود محمد شاكر. القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 1413هـ – 1992م.

الدرويش، محيي الدين. **إعراب القرآن الكريم وبيانه**. حمص: دار الإرشاد للشؤون الجامعية، الطبعة السابعة، 1420هـ – 1999م.

الرضي، أبو الحسن السيد محمد بن الحسين بن موسى. **شرح الرضي على الكافية**. تحقيق. يوسف حسن عمر. بنغازي: منشورات جامعة قاز يونس، الطبعة الثانية، 1996م.

الزجاج، أبو القاسم. **الإيضاح في علل النحو**. تحقيق. مازن المبارك. مصر: مطبعة المدني، 1378هـ - 1959م.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين بن محمد بن بهادر بن عبد الله المصري. **البرهان في علوم القرآن**. تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار الجيل، 1408 هـ – 1988م.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر. **الكشاف**. تحقيق. محمد عبد السلام شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1415هـ – 1995م.

السامرائي، فاضل صالح. **معاني النحو**. عمَّان: دار الفكر، ط1، 1420هـ - 2000م.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي. **مفتاح العلوم**. تحقيق. عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1420هـ – 2000م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد. **معترك الأقران في إعجاز القرآن**. تحقيق. أحمد شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ - 1988م.

الشمسان، إبراهيم. **دروس في علم الصرف**. مكتبة الرشد، ط3، 1425هـ–2004م.

صالح، بهجت عبد الواحد. **الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل**. دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1414هـ – 1993م.

الطبري، ابن جرير. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. تحقيق. بشار عواد معروف وعصام فارس. بيروت: مؤسَّسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1415هـ–1994م.

النيسابوري، أبو محمد بن عبد الله الحاكم، الواحدي. **أسباب نـــزول القرآن**. تحقيق. كمال بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م.

ياقوت، محمود سليمان. **إعراب القرآن الكريم**. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، بدون تاريخ.

KAYNAKÇA

Âlûsî, Ebü'l-Meâlî Cemâlüddîn Mahmûd Şükrî b. Abdillâh b. Mahmûd el-Âlûsî, **Rûḥu'l-Me'ânî fî Tefsîri'l-Ḳur'ân ve'S-seb'i'l-Mesânî**. Beyrut: Dāru İhyâi't-Türâsil-Arabî, Tarihsiz.

Bağdâdî. **et-Tibyân fî i'râbi'l-Ḳur'ân**,Tahkik. Muhammed Ali el-Bicâvî. Beyrut: Dāru'l-cîl, 2. baskı, 1987.

Bikāî, Ebü'l-Hasen Burhânüddîn İbrâhîm b. Ömer b. Hasen er-Rubât el-Hırbevî el-Bikāî. **Naẓmü'd-dürer fî tenâsübi'l-âyât ve's-süver**. Kahire: Daru'l-Kitâbi'l-İslâmî, Tarihsiz.

el-Cürcânî, Ebû Bekr Abdülkāhir b. Abdirrahmân b. Muhammed el-Cürcânî. **Esrârü'l-Belâga**. Tahkik. Mahmût Muhammed Şâkir. Kahire: Cedde: Dāru'l-Medenî, Tsz.

ed-Derviş, Muhiyid-din. **İ'râbü'l-kurânil-kerim ve beyênüh**. Hims: Dāru'l-İrşâd liş-Şuûnil-Câmiyye, 7. Baskı

Ebu's-Su'ûd, Muhammed b. Muhammed el-Emâdiy. **İrşâdü'l-'aḳli's-selîm ilâ mezâya'l-Kitâbi'l-Kerîm**. Kahire: Dāru'l-Mushaf, DT

el-Ezherî, Ebü'l-Velîd Zeynüddîn Hâlid b. Abdillâh b. Ebî Bekr el-Vakkād el-Ezherî, **Şerḥu't-ṭasrîh Ale et-Tavdîh**. Beyrut: Dāru'l-Kutubi'l-'İlmiyye, 2. Baskı, 2006.

İbn Akīl, Ebû Muhammed Bahâüddîn Abdullah b. Abdirrahmân b. Abdillâh b. Akīl el-Hemedânî. **Şerḥu Elfiyyeti İbn Mâlik**. Tahkik. Muhammed Muhiyid-Din Abdul-Hamid. el-Kahire: Dārut-Türâs, 20 .Baskı, 1400-1980.

İbn Âşûr, Muhammed et-Tâhir b. Muhammed b. Muhammed. **et-Taḥrîr ve't-Tenvîr**. Tunus: Dāru Sihnûn, DT.

İbn Cerîr et-Taberî, Ebû Ca'fer Muhammed b. Cerîr b. Yezîd el-Âmülî et-Taberî el-Bağdâdî. **Câmi'u'l-beyân 'an te'vîli âyi'l-Ḳur'ân**. Tahkik. Mahmût Muhammed Şâkir. Mısır: Daru'l-Meârif, 2. baskı. 1969.

İbn Hişâm, Ebû Muhammed Cemâlüddîn Abdullāh b. Yûsuf b. Ahmed b. Abdillâh b. Hişâm el-Ensârî el-Mısrî. **Muġni'l-lebîb**. Tahkik. Mezin'l- Mübârak ve Muhammed Ali Hamdullah. Dimaşk: Dāru'l Fikr, 1. Baskı, 1384-1964.

İbn Yaîş, Ebü'l-Bekā Muvaffakuddîn Yaîş b. Alî b. Yaîş b. Muhammed el-Esedî el-Halebî, **Şerḥu'l-Mufaṣṣal**, Beyrut: Âlemû'l-kutûb, Kahire: el-Motnebbî.

İbnü'l-Esîr, Ebü'l-Feth Ziyâüddîn Nasrullāh b. Muhammed b. Muhammed eş-Şeybânî el-Cezerî. **el-Meşelü's-sâ'ir fî edebi'l-kâtib ve'ş-şâ'ir**. Tahkik. Muhammed Muhittin Abdulhamit, Beyrut: el-Mektebetu'l-Eseriyye, 1990

İbrahim, Dusukî. **Havêtîmu'l-Âyêt Dirâsetün Üslubiyye**. Kahire: Dâru'l-yakîn, 1. Baskı, 2016.

Kurtubî, Ebû Abdillâh Muhammed b. Ahmed b. Ebî Bekr b. Ferh. **el-Câmi' li-Aḥkâmi'l-Ḳur'ân**. Tab'etü Dâru'l-kutubi'l-mısriyye. Dâru'l-kâtibi'l-'arabî, 1967.

Osman, Muhammed Hasan. **İ'râbü'l--Kurân-i ve Beyânü Meânî**, Kahire: Dâru'r-Risâle, 1. Baskı, 1423-2002.

er-Radî, Necmü'l-eimme Radıyyüddîn Muhammed b. el-Hasen el-Esterâbâdî el-Garavî es-Semnâkî. **Şerḥu'l-Kâfiye**. Tahkik. Yusuf Hasan Ömer. Bingazi: Menşurat Câmiati Kân Yunus, 2 .Baskı, 1996.

er-Râgıb el-İsfahânî, Ebü'l-Kāsım Hüseyn b. Muhammed b. el-Mufaddal er-Râgıb el-İsfahânî, **Müfredâtü elfâẓi'l-Ḳur'ân**. Tahkik. Safvên Adnân Dâvudî. Dimaşk, Dāru'l-Kalem, 4. Baskıi, 1430- 2009.

er-Râzî, Ebû Abdillâh (Ebü'l-Fazl) Fahrüddîn Muhammed b. Ömer b. Hüseyn er-Râzî et-Taberistânî. **Mefâtîḥu'l-ġayb**, **et-Tefsîrü'l-kebîr**. Tehran: Daru'l-Kutubi'l-Ilmiyye, 2. baskı, DT.

er-Râzî, Ebû Abdillâh (Ebü'l-Fazl) Fahrüddîn Muhammed b. Ömer b. Hüseyn er-Râzî et-Taberistânî. **Nihâyetü'l-îcâz fî dirâyeti'l-i'câz**. Tahkik: Nasrullah Hacımüftüoğlu. Beyrut: Dāru Sâdır, 1.baskı, 2004.

Salih, Behcet Abdi'l-Vahid. **el- İ'râbü'l- Mufessel likitabi'l-Llahi'l-Murattel**. Dāru'l fikri lin-Neşr ve Tevzi, 1. Baskı.

es-Sekkâkî, Ebû Ya'kūb. **Miftâḥu'l-'ulûm**, Tahkik. Abdülhamîd Hindâvî. Beyrut: Dāru'l-Kutubi'l-'İlmiyye, 1. baskı 2000.

Süyûtî, Ebü'l-Fazl Celâlüddîn Abdurrahmân b. Ebî Bekr b. Muhammed el-Hudayrî es-Süyûtî eş-Şâfiî. **Mükterenü el-AKrân fi İcâzil-Kurân**. Tahkik. Ahmed Şemsid-Din. Beyrut: Dāru'l-Kutubi'l-'İlmiyye, 1.Baskı, 1408-1988

eş-Şemsên, İbrahim. **Dürûsün fil-İlimi'es-Sarf**. Mektebetü'er-Ruşd, 3.Baskı, 1425-2004.

et-Tuncî, Ebu Muhammed, **el-Mucemu el-Mufassal fi el-Edeb**, Beyrut: Dāru'l-Kutubi'l-'İlmiyye, 3. Baskı, 1419-1999.

Vâhidî, Ebü'l-Hasen Alî b. Ahmed b. Muhammed en-Nîsâbûrî. **Esbâbü'n-nüzûl**. Tahkik. Kemal besyûnî Zeglûl. Beyrut: Dāru'l-Kutubi'l-'İlmiyye, 1.Baskı, 1408-1988.

Yakut, Mahmut Süleyman. **İ'râbi'l-Ḳur'ânil-Kerîm**. el- İskenderiyye: Dârü'l-Mârife el- Camiyye, T.Y

ez-Zeccâc, Ebû İshâk İbrâhîm b. es-Serî b. Sehl ez-Zeccâc el-Bağdâdî. **Me'âni'l-Ḳur'ân ve i'râbüh**. Tahkik: Abdülcelîl Abduh Şelebî. Beyrut: Âlemü'l-kutub, 1988.

ez-Zemahşerî, Ebü'l-Kāsım Mahmûd b. Ömer b. Muhammed el-Hârizmî ez-Zemahşerî. **el-Keşşâf 'an ḥaḳā'iḳı ġavâmiżi't-tenzîl ve 'uyûni'l-eḳāvîl fî vücûhi't-te'vîl**. Kahire: Mektebetu'l-Halbî, Son baskı, 1966.

ez-Zerkeşî, Ebû Abdillâh Bedrüddîn Muhammed b. Bahâdır b. Abdillâh et-Türkî el-Mısrî el-Minhâcî ez-Zerkeşî eş-Şâfiî. **el-Burhân fî 'ulûmi'l-Ḳur'ân**. Tahkik. Muhamed Ebulfazl Ibrahim. Beyrut: Dâru'l-Me'rife, 2. Baskı.